المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته - جلت قدرته - تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد بن عبد الله، أفضل وأعظم وأجل من حملته بطن أم جنيناً، وأعز وأكرم من عاش طفلا يتيما بريئاً بعيداً عن كل أدران الحياة الدنيا، وأعظم نبي عرف للطفولة حقوقها، وعلم صحابته، رضوان الله عليهم أجمعين، أن الرحماء يرحمهم الله، وأن العطف على الصغير من شيم المسلمين الصادقين، وأن الاحتفاء بهم من خلق الأنبياء المرسلين، وأن اللعب معهم، بل والصبر عليهم حتى وهو راكع وساجد جانب من خلق صاحب الخلق العظيم. . عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ العربي يتعامل مع عدة أبعاد من العنوان الذي وضع له. . وأكثر، فالعنوان هو «**الطفل المسلم بين منافع التليفزيون ومضاره**»، وهو بهذا يركز على طفل بعينه، وليس أي طفل، إنه طفل ذو تراث إسلامي بدأ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، حين بعث محمد، صلى الله عليه وسلم، على أرض الجزيرة العربية، يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وكان في الرسالة الخاتمة كل خير للبشرية باتساع المعمورة، في كل جانب من جوانب الحياة الدنيا، ابتداء بالعلم النافع الذي بدأته آيات القرآن الكريم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق ١ - ٥) فكانت هذه الآيات فاتحة لعصر إسلامي رائع من العلم والمعرفة، بل وللتطبيقات العلمية

التي ميزت الحضارة الإسلامية عن سائر الحضارات الأخرى؛ لأنها كانت حضارة جمعت بين العلم النافع والقيم السامية، بين الإصرار على طلب الجديد في فروع العلم المختلفة، وبين التمسك بأعظم القيم الخلقية التي جاء بها خاتم المرسلين، صلى الله عليه وسلم.

وكان مما جاء به معلمنا الأعظم والأسمى، صلى الله عليه وسلم، الاهتمام بالطفولة، كما لم يهتم بها دين من قبل، وكما لم تهتم بها أمة أخرى - غير أمة المسلمين- على وجه الأرض، سواء في العصور القديمة أو الوسيطة وحتى العصور الحديثة التي نعيشها.

وإذا كانت المنظمات الدولية التي تفتخر بها دول العالم المعاصر، والتي وضعت ضمن اهتماماتها «الطفولة» تحت ما يسمى بحقوق الطفل، ضمن حقوق الإنسان، فإننا نحن المسلمين لنا أن نفخر بأن ديننا الإسلامي العظيم قد جاء بأمور في هذا المجال لم تخطر لمشرعيهم على عقل، بل ولم ترد حتى على أفكارهم.. مجرد ورود..! ولننظر.. ولنتمعن،، علّنا نعي الكنوز التي بين أيدينا، والتي تركها لنا معلم البشرية الأسمى، صلى الله عليه وسلم.

* فهل هناك - قبل الإسلام.. وبعد ظهور فجره - من فكر في أن للطفل حقا أو حقوقاً تنصرف قبل أن يخرج هو للوجود، وقبل أن يري النور؟! رسولنا ينص على ذلك حين أمرنا باختيار الزوجة الصالحة؛ لأن العرق دساس.

* وهل هناك من اهتم بل وشرع للجنين، وهو بعد لم يزل في بطن أمه؟! ديننا الإسلامي الرائع.. فعل ذلك غير مسبوق ولا ملحوق.

* وهل هناك من اهتم بأول ألفاظ، وأول كلمات تلقى في سمع الطفل

الوليد حين يخرج إلى صخب هذه الحياة الدنيا . . ؟؟ نبينا ومعلمنا الأسمى نطق بها في أذني الحسن والحسين حين أذن في الأذن اليمنى، وأقام في اليسرى . فهل هناك أروع من «الله أكبر» تدخل في أذني الوليد، القادم الجديد إلى الدنيا فتبعد عنه الشيطان من أول لحظة، وتحميه من وساوسه؟!

* وهل اهتمت دول العالم، أو منظمات الأمم المتحدة بتسمية الطفل، بحيث يحمل اسماً يفتخر به مدى حياته، ويسعد به ويعتز حين ينادى به، أليس هذا بعد نفسيا رائعاً من دين الحضارة التي غذيت من فوق سبع سماوات، من لدن حكيم خبير؟!

* وهل هناك تشريع أرضي رعى قضية النسب بالنسبة للأطفال رعاية الإسلام لها، بحيث صارت حقوقهم محفوظة مصانة لا تمس؟!

* ومن على وجه الأرض، منذ هبط إليها آدم، عليه السلام، وإلى أن تقوم الساعة، علّم أصحابه ملاطفة الأطفال ومداعبتهم رغم مشاغل الدنيا وهمومها وأعبائها . . كما فعل نبي هذه الأمة، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؟!

* من اهتم بالعقيقة سنة نبوية مطهرة، تحتفي بالمولود حين قدومه، وتبين أن مقدمه خير وسعادة وبشر لأهله، وتشعر المجتمع المحيط من حولهم بالسعادة والحبور فتطعم الجار والصديق والقريب فيشاركهم الاحتفاء بالوافد الجديد؟!

* ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً أقر الإسلام بحق الطفل في التعليم والتربية، وجعل ذلك من أوجب الواجبات التي لا تهاون فيها ولا تنازل

عنها من جانب مجتمع المسلمين، ولو نفذ المسلمون هذا الجانب كما أمرهم نبيهم، صلى الله عليه وسلم، ما كان بيننا اليوم جاهل ولا أمي، ولما أصبحنا نشعر بالخجل حين نقرأ نسبة الأمية في مجتمعاتنا، وحين نقارنها بمجتمعات غير المسلمين.

هذه هي إذن بعض حقوق الطفل في الإسلام، وقد رجعنا فيها إلى مصادر طيبة في المجال حتى نوفي الجزء الأول من عنوان الكتاب «الطفل المسلم» حقه، وحتى نبين أن هذه الحقوق ليست وليدة اليوم، كما أنها ليست من اختراع المنظمات التي استحدثها عالم اليوم.

أما إيجابيات التليفزيون وسلبياته، أو منافعه ومضاره، فلا يختلف عليها اثنان، فهذا الجهاز العجيب وصل إلى جميع البيوت.. أو كاد!

وهو قد وصل إلى أخص خصوصياتنا.. إلى بناتنا في خدورهن، وإلى الصبيان من أبنائنا في حجراتهم الخاصة، بحيث أصبحوا يشاهدون ما يعرض دون رقيب أو حسيب.

كنا في الماضي القريب نربي أبناءنا وبناتنا على قيم أصيلة وطيبة جاءت إلينا من تراثنا الإسلامي العظيم، عبر أجداد وجدات حافظوا عليها، ونقلوها إلينا طيبة خالصة، وكنا ننتقي المعلمين والمعلمات لأبنائنا وبناتنا، وندقق في الانتقاء والاختيار حتى لا يتسرب إليهم شيء نكرهه أو شيء نخجل منه.

فجأة دخل معلم جديد، مرغوب أو غير مرغوب فيه، دخل إلى بيوتنا دون استئذان، وفرض نفسه على الجميع.. آباء وأمهات.. وشبابا وشابات.. بل وأحفادا وحفيدات، واخترنا له أفخم حجرات منازلنا لنضعه

فيها، بل وأعدنا ترتيب أثاث منازلنا لنتحلق من حوله . .

وسكتنا . . وصمتنا . . وفرضنا على أبنائنا وأحفادنا الصمت والسكوت حين يتكلم، وأفسحنا له من صدورنا، وأضعنا أمامه من أوقاتنا الكثير الكثير الذي سيحاسبنا الله عليه .

وانتهز هو - ذلك المعلم الدخيل (التليفزيون) - ما أتحنا له من فرص فخرب عقولاً، ومسخ شخصيات، ودمر بيوتاً، وأشاع مآسي، ونشر جرائم، وحث على رذائل، وقبح قيماً، وهدم الكثير والكثير مما بنيناه، وخصوصا بعد أن ضاعت رقابة، وعزت سيطرة، خاصة مع انتشار البث المباشر القادم إلينا عبر الحدود .

كل هذا - وغيره كثير - طرق في هذا الكتاب، وحتى نكون موضوعيين، وغير متحاملين، فقد مسسنا ما في التليفزيون من إيجابيات، وهي للأمانة غير قليلة، وينبغي أن يهتم بها المربون حتى يدعموها في شخصيات الأبناء من الناشئة والشباب الصغار، وليس هناك كالتربية علم يمكن أن يفيد في هذا المجال .

وحين نتحدث عن التربية هنا إنمانعني بها التربية الإسلامية التي ربى الرسول، صلى الله عليه وسلم، صحابته عليها، ونعني جانباً محدداً في هذه التربية وهو جانب «الضمير» أو «الوازع الداخلي» الذي يجعل شبابنا . . بل وحتى أطفالنا ينتقون ما يشاهدون، والذي يجعلهم يغلقون الجهاز حين يبث منه ما يتعارض مع ديننا وقيمنا، فليس هناك - إذن - أفعل من الرقابة الداخلية . . الذاتية، وليس هناك، بطبيعة الحال، من يربي الإنسان عليها مثل الإسلام. ويكفينا في ذلك مثال الصوم في شهر رمضان، حيث لا حسيب ولا رقيب يمنع الإنسان المسلم الحق من إتيان ما ينقض الصوم سوى

تلك الرقابة الذاتية، ويكفينا كذلك من تراثنا العظيم اعتراف المخطئين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطئهم رغم هول العقوبة وفداحة التنفيذ.

وبعد..

فهذه لمحات، أو بعض لمحات، مما طرق في هذا الكتاب، والله نسأل أن يكون فيه نفع أو بعض نفع للأجيال الصاعدة من أبناء المسلمين، وللأسر التي تتلفت حولها تطلب العون أمام الطوفان الذي نعيشه من برامج التليفزيون من البث المباشر وغيره، والذي يتولى كبره شياطين الإنس من البشر، باتساع العالم، أجانب ومسلمين. هدى الله الجميع، وأعان على الطريق.

وهو الهادي إلى سواء السبيل سبحانه

الرياض رمضان ١٤١٧هـ

يناير ١٩٩٧م.